المحاضرة الأولى:

الوظيفية الجديدة (جيفري ألكسندر ونيكلاس لومان):

أولا-التعريف بالوظيفية الجديدة:

تعتبر الوظيفية الجديدة **Neofonctionalism**تطورا نظريا لما يمكن أن تقدمه من أفكار ثاقبة وعظيمة حول كيفية عمل المجتمعات، ولماذا توجد المؤسسات والأعراف ؟خاصة مع الجهود التي بذلت ولا تزال تبذل في إعادة بناء الوظيفية على المستويين النظري الإمبريقي، ونقد وإعادة تفسير طروحات بارسونز، وقبول تصنيفاته على أنها أدوات مساعدة على الوصف، والتخلي عن فكرة النظرية التفسيرية، للتغلب على بعض نقاط الضعف في الوظيفية ، وتثبت لنفسها مكانا دبت فيه الحيوية بظهور واستكمال مشروعها في الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، كاستجابة للتغيرات الموضوعية في الحياة الاجتماعية، ونتيجة لتطور المعرفة في علم الاجتماع، والحديث على ما بعد الحداثة، وجاءت تهدف لمجموعة من الغايات والأسس أهمها:

- إنها من أجل إيجاد وخلق شكل من الوظيفة متعددة الأبعاد، وتتضمن مستويات التحليل بعيدة المدى إلى جانب مستويات قصيرة المدى.
- من أجل دفع الوظيفية إلى ترك ورفض تفاؤل بارسونز بالحداثة.
- مناقشة التوجه الديمقراطي الضمني في التحليل الوظيفي.
- استدماج منظور الصراع
- استدماج الإبداعية التفاعلية والتأكيد عليها.
- اعتبار مفهوم التوازن الدينامي كأهم المفاهيم عند الوظيفية.

ثانيا-الوظيفية الجديدة عند جفري الكسندر Jeffry Alexander:

يعتبر جفري الكسندر من ألمع أتباع المدرسة الوظيفية الجديدة عندما اعترف في كتابه الموسوم بالوظيفية الجدية وما بعدها Neofunctionalism and After ، بأنه يعتبر مشروع الوظيفية الجديدة قد انتهى، ويوضح بأن الانتقال من الوظيفية التقليدية التي أعيد بناؤها قد اكتمل، لأن شرعية بعض اهتمامات بارسونز المركزية قد رسخت وتماشت، ومن وجهة نظر الكسندر، فإن الوظيفية الجديدة نجحت في تحقيق الاعتراف لبارسونز كواحد من أعلام علم الاجتماع الكلاسيكيين، وهذا يعني أن الموقف النظري لدى بارسونز، رغم بروزه وتفوقه

تاريخيا ، لن يسيطر على الأعمال النظرية المعاصرة، ويضيف الكسندر بأن أفكار بارسونز" لا تقل أهمية عن بعض الانجازات الحاسمة لدى منظرين كلاسيكيين آخرين.

ومن جهة أخرى، يتمسك الكسندر بنظرته إلى الوظيفية باعتبارها " تيار حيوي في الأعمال المعاصرة، وأنها تمثل خيطا قويا في نسيج الحركة النظرية الجديدة، بالإضافة إلى ذلك، يتوقع أن تستمر الوظيفة الجديدة في إنتاج دراسات سوسيولوجية خلاقة وهامة، ولكنه يؤكد بأن النجاح الأساسي للوظيفية الجديدة تقع ما وراء نطاقها كذلك. وفي مؤلفه الضخم" المنطق النظري في علم الاجتماع Theoritical logic in sociology سنة 1984، يذهب إلى أننا لابد أن نأخذ بالاعتبار ثلاث مجموعات من التقابلات:

- التقابل بين النظرية والواقعة (البعدين الميتافيزيقي والعيني لعلم الاجتماع)؛
- التقابل بين الإرادة الفردية والهيمنة الجماعية؛
- التقابل بين الفعل المعياري والفعل اللاذاتي.

وقد زعم في مجلده المذكور، أن بارسونز كان يميل إلى دمج ما هو عيني وما هو نظري، ويتجاهل مسألة القسر الذي يمارسه المجتمع لفرض المعايير والقيم، فضلا عن النواحي المادية للفعل، وتكمن ميزة ألكسندر في كونه واع لكل تلك الأبعاد. ولذلك فهو يقدم منطلقا مقبولا لنظرية سليمة، تقدم وصفا عاما للعلاقات المتبادلة، مستخدمة فكرة التوازن بوصفه نقطة مرجعية، وليس بوصفه شيئا موجودا في الواقع، فالتوازن هو دائما توازنا متحركا، وهذا ما يفسر استعمال مفهوم التوازن الدينامي، واعتباره من أهم المفاهيم عند الوظيفية الجديدة. التي تتميز كذلك بفكرة أو خاصية التعدد في أبعاد النظرية الاجتماعية، وما يجب أن تفعله ، كحركة تنظرية جديدة تتجاوز إعادة بناء النظريات الموجودة أصلا إلى صياغة نظريات جديدة، ويرى ألكسندر أن الأمر الذي حرض هذه الحركات، يتمثل في انبثاق نظريات متولدة سياسيا مثل: النسوية، والتعددية الثقافية، المجتمع المدني، وما بعد الاستعمارية

حيث ينظر ألكسندر في كتابه الحديث الموسوم بمعاني الحياة الاجتماعي: علم الاجتماع الثقافي The Meaning of social life: Acultural sociology، إلى الثقافة باعتبارها متجسدة في كل من المؤسسات الاجتماعية والشخصيات الإنسانية، ويستخدم سلسلة من الدراسات الإمبريقية، تمتد من الهولوكوست

Holocaust إلى ووترجيت Watergate، ليوضح كيف أن الأنماط العميقة للمعنى يمكن أن تساعدنا في فهم قوة العنف والانحلال، وكذلك استمرارية وجود الأمل. وينظر ألكسندر إلى أعماله، باعتبارها تمثل مساهمة في الحركة النظرية الجديدة، ويعترف بأنه قد تحول عن إتباع بارسونز بتجاهله النظام في حياة الناس، وكذلك بالتنظير ضمن النظريات السوسيولوجية قصيرة المدى على نحو أكثر وضوحا ومباشرة. ويوضح هذا الأمر أعماله الجديدة التي قدمها حول الفعل، فبينما نظر بارسونز إلى الفاعلين باستمرار على أنهم يمثلون مفاهيم تحليلية، عرف ألكسندر الفعل باعتباره حركة لأشخاص حقيقيون، وفعالون ويتنفسون، وهم يشقون طريقهم عبر الزمان والمكان. بالإضافة إلى ذلك عندما يؤكد ألكسندر، بأن كل فعل يتضمن بعدا من أبعاد الإرادة الحرة، أو القوة Agency، فإنه بهذا الإجراء يمد نطاق الوظيفية لتشمل بعض اهتمامات التفاعلية الرمزية .

ثالثا–الوظيفية الجديدة عند نيكولاس لومان:

لقد نظر لومان إلى نظرية بارسونز باعتبارها حدثا تاريخيا هاما، لأنها مثلت المحاولة الوحيدة التي بدأت بالعديد من الأعمال الهامة، والمتساوية في أهميتها، ومن ثم قدمت استنتاجا نظريا لها...ولم تجرؤ أية نظرية على فعل هذا حتى الآن، أن مثل هذا العمل كان مستحيلا، ومع ذلك فإن نظرية بارسونز حسب ما يرى لومان، تفتقد إلى مفاهيم "مرجعية الذات" وتخلو من التعقيد، وقد مثل عمله محاولة لصياغة نظرية عالمية أو كبرى للأنساق الاجتماعية تندمج فيها هذه المفاهيم. كما يجادل لومان؛ بأن الأنساق الاجتماعي توجد حيثما كان هناك أفعال ذات معنى لعدة أشخاص، وكانت هذه الأفعال مترابطة، ومن ثم تكون منفصلة عن البيئة ، لأن هدف الفرد في تفاعله مع متغيرات محيطه هو بلورة فعل اجتماعي منسق، وليس بناء نسق اجتماعي من أجل إخراج فعله منتظما بضوابط محيطه الذي يعيش فيه، عندئذ يستطيع أن يسترشد ويتوجه إراديا وطاقيا بموجبها نحو أهدافه المستنبطة من محيطه، ومن خلال هذا الانتظام المنسق والاسترشاد المحيطي يكتسب الفرد رموز ومعاني ثقافية مجتمعة، تساعده في تسهيل عملية اتصاله وتفاعله مع الآخرين المحيطين به، وتختصر جهوده الفكرية والسلوكية في التفاهم والتواصل معهم بذات الوقت، تيسر وتبصر رؤاه الاجتماعية للأمور والقضايا التي يواجهها ويتعايش معها .

وبهذا ينشأ النسق الاجتماعي في نظر لومان، من خلال عيش الأفراد متفاعلين ومترابطين إيجابيا، ومكتسبين خواص محيطهم الاجتماعي بشكل منسق، وهكذا فإن النسق الاجتماعي ينبثق حيثما وجد تفاعل بين الأفراد، وحسب ما يرى لومان هناك ثلاثة أنماط من الأنساق الاجتماعية من أنساق التفاعل (تفاعلات الوجه للوجه للبشر)، وأنساق التنظيم (حيث يتم ربط العضوية بظروف محددة)، والأنساق الاجتماعية (كل ما يطوق النسق الاجتماعي، والمجتمعات الكلية). ولكي يعمل هذا النسق بطريقة فعالة عليه أن يراجع ذاته، لأن النسق قادر على ملاحظة ذاته، وأن ينعكس على ذاته وعلى ما يفعله، ويستطيع أن ينفذ قرارات نتيجة لهذا الانعكاس، تمتلك الأنساق المراجعة للذات القدرة على رسم الخطوط الكبرى لهويات ذاتها، أنها تستطيع وصف ذاتها من خلال وضع حدود حسب ما تكون وما لا تكون.

ويوضح ذلك لومان كحالة تقاطع الفرد العصري مع الآخرين في تفاعله معهم، وتصارعه وتطاحنه مع بعض التنظيمات التي ينتمي إليها، إذ يدرك لومان بأن أنساق المجتمع ذاتها تتصارع. ونتيجة لهذا التصارع؛ تفقد أنساق المجتمع وظائفها وأدوارها، مما يفقد المفاهيم والقضايا معناها، ويجعل التوجيهات القيمية غير محددة؛ لأن التوازن هو قاعدتها. لذلك يؤكد لومان أن هذا التقاطع والتصارع بين التنظيمات والأنساق، لا يؤدي إلى تمزق صلاتها أو تكسر روابطها أو انهيار هياكلها، بل إلى تجديد تعليماتها وفلسفتها وأهدافها من أجل المحافظة على وجودها داخل محيطها، ولأن إنشاءات الفرد المتعددة والمتنوعة تقلل من صراعاته خارج حدودها، بسبب انتظام طاقته وإرادته حسب متطلبات العصر وتنظيماته، وإذا حدث أن وقع الفرد في صراع مع إحدى التنظيمات، فإن الأخيرة تسكن وتلطف صراعه معها من خلال تطوير أهدافها وتعليماتها، و لا تقف في هذه الحالة الأنساق الاجتماعية عند حدودها، بل تنمي وتطور فلسفتها وأهدافها ونظامها الداخلي، لكي لا تخسر أعضاءها وتجلب لها أعضاء جددا، لأنها غير متصلبة مرنة ومفتوحة على المستجدات الحديثة والعصرية من أجل مواجهة مستجدات المستقبل، لا تعيش في ماضيها بل في حاضرها ولمستقبلها، مسايرة تطورات الزمن في حركته الدائمة، لكن لا تحصل اضطرابات وفوضى داخل الحياة الاجتماعية، بل تعالجها وتستفيد من أثارها السلبية والايجابية، لأنها تمنح الفرد خبرة اجتماعية يتغذى بها فعله الاجتماعي في نموه وبنائه.